

تفسير البحر المحيط

@ 260 @ هذا النبأ المقصود عليك هو ديدن المدن إذ كفرت ، فدخل المدن المعاصرة .
والضمير في منها عائد على القرى . قال ابن عباس : قائم وحصيد عامر كزغر ودائر ، وهذا
على تأويل عموم القرى . وقال قتادة وابن جريج : قائم الجدران ومنهدم ، وهذا على تأويل
خصوص القرى ، وأنها قرى أولئك الأمم المهلكين ، وقال الزمخشري : بعضها باق وبعضها عافى
الأثر كالزراع القائم على ساقه ، والذي حصد انتهى . وهذا معنى قول قتادة ، قال قتادة :
قائم الأثر ودارسه ، جعل حصد الزرع كناية عن الفناء قال الشاعر : % (والناس في قسم
المنية بينهم % .
كالزراع منه قائم وحصيد .
%) .

وقال الضحاك : قائم لم يخسف ، وحصيد قد خسف . وقال ابن إسحاق : قائم لم يهلك بعد ،
وحصيد قد أهلك . وقيل : قائم أي باق نسله ، وحصيد أي منقطع نسله . وهذا يتمشى على أن
يكون التقدير ذلك من أنباء أهل القرى . وقد قيل : هو على حذف مضاف أي : من أنباء أهل
القرى ، ويؤيده قوله : وما ظلمناهم ، فعاد الضمير على ذلك المحذوف . وقال الأخفش : حصيد
أي محصود ، وجمعه حصدى وحصاد ، مثل : مرضى ومراض ، وباب فعلى جمعاً لفعيل بمعنى مفعول ،
أن يكون فيمن يعقل نحو : قتيل وقتلى . وقال الزمخشري : (فإن قلت) : ما محل هذه
الجملة ؟ قلت : هي مستأنفة لا محل لها انتهى . وقال أبو البقاء : منها قائم ابتداء ،
وغيره في موضع الحال من الهاء في نقصه ، وحصيد مبتدأ خبره محذوف أي : ومنها حصيد انتهى
وما ذكره تجوز أي : نقصه عليك وحال القرى ذلك ، والحال أبلغ في التخويف وضرب المثل
للحاضرين أي : نقص عليك بعض أنباء القرى وهي على هذه الحال يشاهدون فعل □ بها . وما
ظلمناهم أي : بإهلاكنا إياهم ، بل وضعنا عليهم من العذاب ما يستحقونه ، ولكن ظلموا
أنفسهم بوضع الكفر موضع الإيمان ، وارتكاب ما به أهلكوا . والظاهر أن قوله : فما أغنت
، نفي أي ، لم ترد عنهم من بأس □ شيئاً ولا أجدت . يدعون حكاية حال أي : التي كانوا
يدعون ، أي يعبدون ، أو يدعونها اللات والعزى وهبل . قال الزمخشري : ولما منصوب بما
أغنت انتهى . وهذا بناء على أن لما ظرف ، وهو خلاف مذهب سيبويه ، لأن مذهبها أنها حرف
وجوب لوجوب . وأمر ربك هو عذابه ونقمته . وما زادوهم عوامل معاملة العقلاء في الإسناد إلى
واو الضمير الذي هو لمن يعقل ، لأنهم نزلوهم منزلة العقلاء في اعتقادهم أنها تنفع ،
وعبادتهم إياهم . والتتبيب التخسير . قال ابن زيد : الشر ، وقال قتادة : الخسران

والهلاك ، وقال مجاهد : التخسير ، وقيل : التدمير . وهذه كلها أقوال متقاربة . قال ابن عطية : وصورة زيادة الأصنام التتبيب ، إنما هو يتصور بأن تأميلها والثقة بها والتعب في عبادتها شغلت نفوسهم عن النظر في الشرع وعاقبته ، فلحق من ذلك عقاب وخسران . وأما بأن عذابهم على الكفر يزداد به عذاب على مجرد عبادة الأوثان . .

{ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ طَالِمًا إِنَّا أَخْذُهُ
الَلِيمُ شَدِيدٌ * إِنَّا فِي ذَالِكِ لَآيَةً لِّمَنۢ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَالِكِ
يَوْمٍ مَّجْمُوعٌ لِّسَّاسِ ذَالِكِ يَوْمٍ مَّشْهُودٌ * وَمَا زُوِّخْرُهُ
إِلَّا لَاجِلٍ مَّعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ } : أي ومثل ذلك الأخذ أخذ الأمم السابقة أخذ ربك .
والقرى عام في القرى الطالمة ، والظلم يشمل ظلم الكفر وغيره . وقد يمهله تعالى بعض
الكفرة . وأما الظلمة في الغالب فمعاجلون ، وفي الحديث : (إن الله يمهله للظالم حتى إذا
أخذه لم يفله) ثم قرأ : وكذلك أخذ ربك إذا . وقرأ أبو رجاء والجدي : وكذلك أخذ
ربك ، إذ أخذ على أن أخذ ربك فعل وفاعل ، وإذ ظرف لما مضى ، وهو إخبار عما جرب به
عادة الله في